المشترك اللفظي

إعداد : مامات زين الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

I- المقدمة

الحمد لله الذي لا شريك له، الذي أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون، وهو الذي أرسل رسوله بلسان قومه ليبين لهم، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين نهجوا منهج الأدب. أما بعد، فإن الأصل في كل لغة أن يوضع فيها اللفظ الواحد لمعنى واحد، أي أن يكون بإزاء المعنى الواحد فيها لفظ واحد، ولكن ظروفا تنشأ في اللغة، تؤدي إلى تعدد الألفاظ لمعنى واحد، أو تعدد المعاني للفظ واحد[1]. ففي هذه المناسبة أراد الكاتب أن يقدم رسالة قصيرة إلى النقاش في هذا الفصل عما يتعلق بتعدد المعاني للفظ واحد، وهو الذي يسمى بالمشترك اللفظي.

II- التعريف

المشترك اللفظي هو كلمة واحدة تدل على معان عدة على سبيل الحقيقة او المجاز. ويتفق هذا مع تعريف الأصوليين الذين يرون أنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر مثل : العين : التي تطلق على العين الباصرة، وعين الماء، وعين الشيئ أي حقيقته ونفسه، والعين التي تطلق على الجاسوس[2]. ومثل berjalan في اللغة الإندونيسية قد يأتي بمعنى terlaksana و berlangsung و berjalan dengan kaki ولفظ orang tua قد يأتي بمعنى ayah-ibu و orang yang sudah tua و orang yang dituakan/orang yang dihormati . وحينما نقول كلمة واحدة نعني أنها بلفظها وصورتها وأصواتها تؤدي أكثر من معنى.

وعرف الأصوليون اللفظ المشترك بأنه "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"[3].

وكما وقع الخلاف بين اللغويين حول وجود المترادف في اللغة، فأنكره بعضهم، نجد الأمر نفسه يتكرر هنا كذلك. فهذا "ابن درستويه"، الذي عرفناه من قبل معارضا في وجود المترادف في اللغة الواحدة، ينكر كذلك أن يكون للفظ : "وجد" من المعاني المختلفة، ما رواه اللغويون فيه، وهي : العثور على الشيئ، والغضب، والعشق. ويقول في شرح فصيح ثعلب : "فظن من لم يتأمل المعاني، ولم يتحقق

[1] رمضان عبد التواب، دكتور، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، 1994، ص 5

[2] عبد الكريم مجاهد، الدكتور، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء للنشر والتوزيع، الأردن–عمان، ص 112

[3] جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وآخرين، القاهرة، 1958، ص 369

الحقائق، أن هذا لفظ واحد، قد جاء لمعان مختلفة، وإنما هذه المعاني كلها شيئ واحد، وهو اصابة الشيئ خيرا كان أو شرا"[4].

وينادي أبو علي الفارسي بأن "اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، ينبغي ألا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا، ولكنه من لغات تداخلت، أو أن تكون كل لفظة تستعمل بمعنى، ثم تستعار لشيئ، فتكثر وتغلب، فتصير بمنزلة الأصل"[5].

ويبدو أن الغربيين في دراستهم للإشتراك يفصلون بين مصطلحين هما : Polysemy ويعني تعدد المعنى للكلمة، وهذا أقرب لمعنى الإشتراك في العربية. والثاني Homonymy وهو مجموعة من الكلمات لا علاقة بينها سوى اتفاقها في الصيغة أو الشكل وذلك في الإنجليزية كمثل See "يرى" Sea "بحر" و Flour بمعنى دقيق و Flower بمعنى وردة. وهو أقرب الى الجناس التام عندنا[6].

وعن المصطلح الأول يقول Palmer "قد نطلق على الكلمة الواحدة عدة معان مختلفة ومتعددة، فنجد لكلمة Flight في المعجم عدة معان وهي : المرور عبر الأجواء، وقوة الطيران، ورحلة جوية، وحدة قوة جوية، سلسلة من الخطوات، الكرة الطائرة، وغيرها[7].

وهو بهذا يتفق مع أولمان Ullmann الذي يستعمل المصطلح نفسه Polysemy للدلالة على الحالات التي تتعدد فيها مدلولات الكلمة[8]. وطبقا لهذا التحديد فانه يتفق بحق مع ما نطلق عليه في العربية المشترك اللفظي.

اما مصطلح Homonymy فلا خلاف بين المر وألمان على تعريفه، فعند الأول : "كلمات عدة متحدة في شكلها او صيغتها"، والثاني يطلق المصطلح على "الكلمات المتعددة المتحدة الصيغة". ويبدو أن العبرة عندهما هو الإتفاق في النطق وطريقة اخراج الصوت أو أصوات الكلمة حتى لو اختلفت صورة الكتابة. ويتضح ذلك من الأمثلة التي سبقت مثل See "يرى" Sea "بحر" و Flour بمعنى دقيق و Flower بمعنى وردة. ويضرب سترتفنت Sturtevant أمثلة مشابهة تتفق في طريقة نطقها وتختلف صورتها الكتابية، نحو Read "قصبة أو مزمار" و Read بمعنى "يقرأ". وكذلك Red بمعنى "أحمر" و Read فعل ماض بمعنى قرأ[9]. ومما يعزز هذا التخريج أن أولمان يقول في موضع آخر : اذا تصادف أن اتفقت كلمتان أو أكثر في أصواتها اتفاقا تاما فان مثل هذه الكلمات لا يكون لها معنى البتة دون السياق الذي

---

[4] ابن درستويه، تصحيح الفصيح، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد، 1975، ص 364

[5] ابن سيدة الأندلسي، المخصص في اللغة، بولاق1321 هـ، ص 259

[6] عبد الكريم مجاهد، الدكتور، نفس المكان

[7] Palmer (F.R.), *Semantics*, Cambridge University Prss, Cambridge, 1977, hal. 65 - 67

[8] ألمان (ستيفن)، دور الكلمة في اللغة، ترجمة الدكتور كمال بشر، ط2، 1962، ص 115

[9] Sturtevant (Edgar*), An Introduction to Linguistic Science*, New Haven, Yale University Press, 1961, hal. 127.

تقع فيه مثل اتفاق الأصوات في حالة الفعل See "يرى" والعبارة The bishops see "عرش الأسقف"، والإسم The Sea "البحر"[10].

جـ أسباب المشترك اللفظي[11] :

أولا : ما يعود إلى المعنى

1- أهمها انتقال الألفاظ من معانيها الحقيقية أو الأصلية إلى معنى مجازي بحيث تكتسب الكلمة معنى جديدا يستقر بعد ذلك عن طريق الإستعارة أو المجاز. ونحن نعرف أن علاقات الإستعمال المجازي كثيرة قد تؤدي بالمعنى الأصلي إلى تطويره أو تغييره أو تعميمه أو تضييقه أو غموضه أو توضيحه وينتج لنا كلمات متحدة ومشتركة في صورتها ومختلفة في معانيها كإطلاق لفظ الهلال على هلال السماء وهلال الصيد وهلال النعل وهلال الأصبع، وعلى الحية اذا سلخ جلدها، وعلى الجمل الهزيل، وبقية الماء في الحوض، وهلال البطيخة. طبعا لفظ الهلال في أصل دلالته على المعنى الأول، ولكن أطلق على المعاني التالية له لعلاقة المشابهة. وكذلك اطلاق العين الباصرة على عين الماء وعين المال وعين الميزان وعلى الجاسوس، بناء على علاقات مجازية أو المشابهة أو اطلاق الجزء وارادة الكل.

2- وقد ينتج المشترك عن تطور الدلالة بتطور المدلول، فإن كلمة ريشة التي تطلق على ريشة الطائر وريشة الكتابة حتى بعد أن استعاضوا بالآلة المعدنية عن ريشة الطائر في الكتابة إلا أنهم ظلوا يطلقون على الآلة اسم الريشة. وشبيه بهذا ما يحكيه أولمان حيث يقول : إن هناك كلمات أخرى تنشأ عن تطور مدلولات الكلمة الواحدة حين تمتد في خطوط متباعدة الى أن تنعدم العلاقة بينها، وذلك كما في Flour, Flower [12]. فقد اعتبر أولمان اللفظين من قبيل المشترك اللفظي على اعتبار نطقهما أو صورتهما الصوتية. وبعبارة أخرى كانت الكلمتان في الأصل كلمة واحدة بمعنى واحد ثم تطور استعمالها فاختلف معنياهما، ولاتفاقهما في النطق اعتبرا من المشترك اللفظي.

3- قد يكون معنى احدى الكلمات مستهجنا أو يحمل فكرة سيئة أو مرتبطا بمعنى غير مقبول. ففي أمريكا مثلا طغت كلمة Donkey على الكلمة Ass وحلت محلها لسبب التشابه بين هذه الكلمة وبين كلمة يتحاشى الناس استعمالها هناك. أي أن كلمة Donkey أصبحت مشتركا لفظيا يطلق على الذكر والأنثى أي على الحمار وأتانه.

4- ينفرد أولمان بهذا السبب وهو عندما يستجد معنى. يحاول العلماء أن يجعلوه واقعا ضمن دائرة مصطلح متفق عليه أي لا يحاولون ابتكار لفظ جديد له وإنما

---

[10] دور الكلمة في اللغة، ص 54

[11] المرجع السابق، ص 116

[12] المرجع السابق، ص 127

3

يطلقون عليه لفظا أو مصطلحا مستعملا. وفي نظير هذا أو عكسه أن يبتكروا الفاظ جديدة لأشياء استقرت معرفتها فهو يقول : "العاملون في الحقل العلمي سيجدون عندهم الميل دائما إلى استخدام المصطلحات المتفق عليها في معان جديدة للدلالة على الأشياء المعروفة حق المعرفة، وهم بهذا السلوك يسهمون في إيجادة مادة جديدة لفرعي المعنى المتعددة"[13].

5- وأما السبب الأخير فهو الذي ينتج عن سوء فهم معنى لفظ من الألفاظ وخاصة عند الأطفال. وهذا سبب انفرد به الدكتور أنيس حيث يرى من أسباب تغير المعانى واختلافها "سوء فهم المعنى من طفل أو من عبث أطفال"[14] ولم يمثل ذلك.

ثانيا : السبب اللهجي

وهو سبب رئيسي يتمثل في استعمال كلمة ما بمعنيين مختلفين في قبيلتين مختلفتين أو بيئتين مختلفتين. أي أن كل قبيلة اصطلحت على معنى خاص للفظ نفسه ثم جاء جامعوا اللغة ودونوا معنيين لهذه الكلمة كالهجرس فإنه في الحجاز يدل على القرد وعند تميم على الثعلب[15]. ومثل "Gedang" فإنه في جاوى الغربية يدل على buah pepaya وفي جاوى الوسطى والشرقية يدل على buah pisang .

ثالثا : الأسباب الصوتية

وهي الأسباب التي يتطور فيها الصوت بحيث يتحد مع لفظ آخر يختلف عنه في معناه أو مدلوله. أي أن الكلمتين في أصل وضعهما مختلفتان صوتا ومعنى وحصل لأحدهما تطور وتغير في صوتها جعلها تماثل الأخرى في صوتها وتختلف عنها في معناها فرويت لنا متحدة الصوت مختلفة المعنى. يقول أولمان : "والمشترك اللفظي ينشأ عن اتفاق كلمتين مستقلتين أو أكثر في الصيغة اتفاقا بطريق الصدفة مثل صيغة Sound في اللغة الإنجليزية وأقل ما تمثل أربع كلمات. فهذه الكلمات الأربع بعد أن اشتقت من أصول مختلفة أخذت تتقارب بعضها من بعض في الصيغة حتى اتحدت وتماثلت. فكلمة Sound بمعنى صحيح البدن متطورة عن كلمة جرمانية قديمة. وأما بمعنى صوت فترجع إلى الفرنسية Son وحرف "d" ما هو إلا تطور متأخر الحدوث. وتعني "سبر الغور" امتدادا للفعل الفرنسي Sonder . وقد تعنى مضيق الماء فعن الفرنسية Sound التي تحمل المعنى نفسه بالإضافة إلى وجودها في لغات جرمانية قديمة.

وما يندرج تحت هذا السبب هو هذا التشابه الصوتي بين كلمتين لم ينتج عن طريق التطور الصوتي السابق الذكر. وإنما ينتج عن طريقة النطق في اللغة كما في

---

[13] المرجع السابق، ص 123 - 124

[14] ابراهيم أنيس، دكتور، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1976، ص 196

[15] عبد الكريم مجاهد، الدكتور، نفس المرجع، ص 118

الفرنسية. فكلمة "Roi" بمعنى "ملك" تنطق مثل A Rouet التي تعني عجلة غزل. ومن هذا القبيل التشابه الصوتي بين كلمتي Pen "قلم" و Pin "دبوس" أدى إلى الإشتراك اللفظي بينهما على ما يحكيه سترتفنت في كتابه "مقدمة في علم اللغة" حيث يقول : "في الولايات المتحدة" "en" اصبحت تلفظ مثل "in" ومن جراء ذلك صارت كلمتا Pen و Pin مشتركين لفظيين، حتى أن طالبة في السابعة طلبت من مدرستها أن تعطيها قلما Pen ولكنها نطقت الكلمة بلفظ Pin "دبوس" فبحثت لها المدرسة عن دبوس، وأعطته إياها. ولكن الطالبة قالت لمدرستها : إنها تريد دبوسا يكتب ونشأ سوء الفهم لأن المدرسة تتكلم بلهجة تفرق بين Pin و Pen .

وهكذا أدى التشابه الصوتي في نطق Pen و Pin عند الطالبة إلى عدم التفريق بينهما إلا بإضافة كلمة أخرى[16].

وأما ما سماه الدكتور وافي العوارض التصريفية التي تؤدي إلى الإشتراك في الظاهر فلا يبعد كثيرا عن هذا التشابه الصوتي حيث يقول : "تؤدي القواعد الصرفية إلى أن تتفق لفظتان متقاربتان في صيغة واحدة، فينشأ عن ذلك تعدد في معنى هذه الصيغة تؤدي إلى جعلها من قبل المشترك"[17]. ويمثل لذلك بالفعل "وجد" فهو يدل على العلم بالشيئ أو العثور عليه من الوجدان، وعلى الغضب من الموجدة، وعلى الحب الشديد من الوجد. وفي رأيي أن هذا الإتفاق في الصيغة ليس نتيجة لقواعد صرفية، وإنما هي المادة " و ج د" نشتق منها مصادر عديدة متنوعة المعنى مما يدل على أنها من المشترك اللفظي، فبمجرد النطق بالفعل "وجد" مثلا تتزاحم في الذهن هذه المعاني والسياق يحدد المقصود.

رابعا : الأسباب الخارجية

بمعنى أن لفظة أجنبية تدخل في اللغة فيتصادف أن يوجد لها نظير في صورتها وان اختلفت عنها في المعنى. وهنا نرى كلمتين متحدتين في الصورة مختلفتين في المعنى ولكن كلا منهما ينتمي في الأصل إلى لغة مستقلة. ومثل هذا النوع من الكلمات وليد المصادفة كالبرج من اليونانية لتدل على الحصن وهي في العربية تدل على الجميل الحسن الوجه. وكذلك كلمة Race في الإنجليزية من أصل جرماني بمعنى سباق وبمعنى جنس في اللاتينية. أي أن كلمة Race دخلت الإنجليزية واحتفظت بمعنييها الجرماني واللاتيني فأصبحت من الألفاظ المشتركة.

خامسا : السبب عن طريق القواعد التصريفية وهو ما يسميه د. ظاظا "الإشتراك الكاذب الذي قلما يوقع في احتمال التأويلين عند الإستعمال الا اذا تكلف ذلك بعض من يريدون التورية وما يشبهها من دقائق البديع[18]، كأن تشبه كلمة في

---

[16] المرجع السابق، ص 119 - 120

[17] ابراهيم أنيس، دكتور، نفس المرجع، ص 196

[18] حسن ظاظا، دكتور، كلام العرب، دار المعارف بمصر، 1971، ص 108

صيغة الجمع كلمة أخرى في صيغة مصدر مثل النوى جمع نواة تشبه النوى بمعنى البعد. كذلك قد يتشابه اسم وفعل في النطق مثل الفعل : هوى أي سقط، والهوى بمعنى ميل النفس والحب.

د- الطرق التي تتبعها الكلمات في اكتساب معانيها المتعددة.

ويرسم لنا أولمان هذه الطرق قائلا : "وهناك طريقتان رئيسيتان تتبعهما الكلمات في اكتساب معانيها المتعددة.

الطريقة الأولى : الطريق التدريجي البطيئ

تبدأ بمجرد حدوث التغيير في تطبيق الكلمات واستعمالها ثم يعقب ذلك شعور المتكلمين بالحاجة إلى الإختصار في المواقف والسياقات التي يكثر فيها تكرار الكلمة تكريرا ملحوظا ومن ثم يكتفون باستعمالها وجدها للدلالة على ما يريدون التعبير عنه ... فاذا ما تبلورت الكلمة وتحدد معناها الجديد في بيئة خاصة ... وفي الوقت المناسب توسع في حدود دائرتها الإجتماعية الخاصة حتى تصبح مقررة ثابتة في الإستعمال اللغوي العام[19]. يعني بذلك أن الكلمة تنتقل من دائرة ضيقة الى دائرة تليها أوسع وهكذا، يعني أن الفرد يستعملها لتفيد معنى جديدا ويكررها في بيئته، فيتناقلها أفراد تلك البيئة حتى يستقر استعمالها فيما بينهم. ولاشك بعد ذلك في أنهم سيتناقلونها ويستعملونها في مجتمعهم، حتى تشيع في هذا المجتمع بهذا المعنى الجديد الذي يثبت لها.

الطريقة الثانية : الإستعمال المجازي

ويتابع أولمان قائلا : "ويقابل هذا الطريق التدريجي البطيئ الى تعدد المعنى طريق آخر قصير يتحقق في الإستعمال المجازي. ويضرب المثل بكلمة Crane طائر الكركى الذي أصبح يطلق على الرافعة.[20]

هـ- فوائد المشترك اللفظي

واذا كان للمشترك اللفظي من فائدة ايجابية فهو ينبئ عن قدرة ألفاظ اللغة ومدى طواعيتها للقيام بأكثر من دور، وأداء أكثر من معنى، وتحمل أكثر من وظيفة بقبولها الإستعمالات الطارئة عليها مع احتفاظها بمعناها القديم، ولكن هذه الميزة التي تكتسبها الألفاظ في تنويع معانيها لها جانب سلبي يتمثل في وقوع الكلمة في شرك اللبس والغموض الذي سيظل ماثلا ومحتملا وان كان يمكننا ان نعالجه بالرجوع إلى السياق الذي يزيل غموضه، ولكنه لا يملك اجتثاثه واستئصاله.[21]

[19] دور الكلمة في اللغة، ص 117

[20] المرجع السابق، ص 121

[21] المرجع السابق، ص 122

6

مراجع البحث

1- ابراهيم أنيس، دكتور، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1976
2- ابن درستويه، تصحيح الفصيح، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد، 1975
3- ابن سيدة الأندلسي، المخصص في اللغة، بولاق1321 هـ
4- ألمان (ستيفن)، دور الكلمة في اللغة، ترجمة الدكتور كمال بشر، ط2، 1962
5- جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وآخرين، القاهرة، 1958
6- حسن ظاظا، دكتور، كلام العرب، دار المعارف بمصر، 1971
7- رمضان عبد التواب، دكتور، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، 1994
8- عبد الكريم مجاهد، الدكتور، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء للنشر والتوزيع، الأردن-عمان

9. Palmer (F.R.), *Semantics*, Cambridge University Prss, Cambridge, 1977.
10 Sturtevant (Edgar*), An Introduction to Linguistic Science*, New Haven, Yale University Press, 1961.

المشترك اللفظي

بحث للنقاش داخل الفصل
لمادة علم الدلالة والمعاجم

المشرف

الدكتور الحاج محمد مثنى الماجستير

إعداد

مامات زين الدين
01200106010050

قسم اللغة العربية وآدابها للدراسة العليا
جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية
جاكرتا
2002/2001

د- عوامل نشأة المشترك اللفظي في العربية عموما[22] :

1- الإستعمال المجازي[23]

فمثلا كلمة : العين، يدل فى الأصل على عضو الإبصار فى الإنسان والحيوان، بدليل مقارنة اللغات السامية المختلفة، وهي من الأسماء القديمة فيها. أما العربية ففيها زيادة على هذا المعنى: الإصابة بالعين، وضرب الرجل في عينه، والمعاينة. وهذه كلها اشتقاقات فعلية من لفظ "العين" بمعناها القديم. ومن معانيها كذلك : "المال الحاضر" لأنه يُعايَن كذلك، بعكس المال الغائب الذي لا تراه العين. ومن معانيها : "الجاسوس" و "ربيئة الجيش" وهو الذي ينظر لهم. وهذا على التشبيه والمبالغة، فكأن الجاسوس والربيئة قد تحولا إلى عين كبيرة، لأن العين أهم أعضائهما في عملهما. ومن المعاني كذلك : "خيار الشيئ" و "السيد" و "سنام الإبل"، وهذه الثلاثة يجمعها بالعين قيمتها بالنسبة إلى سائر الجسد، على التشبيه بها فى المكانة والمنزلة. ومن المعاني أيضا "الدينار" و "عين الركبة" وهي نقرة في مقدمتها، و "عين الشمس" و "عين الماء". وهذه كلها على التشبيه بالعين فى الإستدارة، أو سيلان الدمع منها. وبقي من معاني العين فى العربية "الإعوجاج فى الميزان" و "ما عن يمين قبلة أهل العراق" و "السحابة التي تنشأ من ناحية قبلة أهل العراق" و "مطر أيام كثيرة لا يقلع" و "طائر" و "ذات الشيئ" . وهذه كلها معان لا يتضح لنا الآن علاقتها بالعين المبصرة، وما نظن إلا أن هذه الصلة كانت موجودة في أذهان العرب الأوائل الذين أطلقوا لفظ "العين" عليها.

2- اللهجات

فبعض هذه المعاني المجازية التي رويت لنا في بعض الكلمات نشأت بالتأكيد في بيئات مختلفة، غير أن اللغويين لم يوضحوا لنا، إلا فى النادر، بيئة هذا المعنى أو ذاك. ومن البعيد أن يظن المرء أن المعاني الكثيرة لكلمة "العجوز" التي روى لها صاحب القاموس أكثر من سبعين معنى، مثل "الإبرة، والأرض، والأرنب، والأسد، والألف من كل شيئ، والبحر، وغيرها كانت تستخدم فى العربية في بيئة واحدة. غير أننا لا نعدم إشارة هنا وهناك في كتب اللغة إلى القبائل التي كانت تطلق الكلمة على هذا المعنى أو ذاك. فقد روى لنا أبو زيد مثلا أن قبيلة "تميم" كانت تطلق كلمة "الألفت" على "الأعسر" وهو الذي يعمل بيده اليسرى، كأن فيه التفاتا من اليمنى إلى اليسرى. أما قبيلة "قيس" فكانت تطلق هذه الكلمة على "الأحمق". ولعلها كانت تلحظ فيه التفاتا من الكيس إلى الحمق[24].

[22] رمضان عبد التواب، دكتور، نفس المرجع، ص 326

وقد وضع ابن السراج يده على هذا العامل من عوامل نشوء المشترك اللفظي في اللغة، فقال : الذي يوجبه النظر على واضع كل لغة أن يخص كل معنى بلفظ، لأن الأسماء إنما جعلت لتدل على المعاني، فحقها أن تختلف كاختلاف المعاني ومحال أن يصطلح أهل اللغة على ما يلبس دون ما يوضح. وهذا ادعاء من ادعى0 أنه ليس فى لغة العرب لفظتان متفقتان فى الحروف إلا لمعنى واحد، لكنه أغفل أن الحي أو القبيلة ربما انفرد القوم منهم بلغة، ليس سائر العرب عليها، فيوافق اللفظ في لغة قوم، وهم يريدون معنى، لفظ آخر من لغة آخرين، وهم يريدون معنى آخر. ثم ربما اختلطت اللغات فاستعمل هؤلاء لغة هؤلاء، وهؤلاء لغة هؤلاء. فأصل اللغة قد وضعت على بيان وإخلاص، لكل معنى لفظ ينفرد به، إلا أنه دخل اللبس من حيث لم يقصد.

3- اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة

إذ ربما كانت اللفظة المقترضة تشبه في لفظها كلمة عربية، لكنها ذات دلالة مختلفة، كما لو تصورنا أن العربية استعارت من الألمانية كلمة : Kalb "كلب" بمعنى عجل، فتصبح كلمة "كلب" فى العربية من كلمات المشترك اللفظي، تدل على الكلب الذي نعرفة، وعلى "العجل".

وقد حدث مثل هذا فى العربية القديمة، ففيها أن "السكر نقيض الصحو" وفيها أيضا أن "كل شق سُدّ فقد سُكر، والسكر سد الشقّ". والمعنى الأول عربي، أما الثاني معرب من الآرامية : Sakkar . وقد فطن إلى هذا شهاب الدين الخفاجي، حين قال : "لا يضر المعرب كونه موافقا للفظ عربي، كسَكَّر، فإنه معرب، وإن كان عربي المادة، بمعنى أغلق. قال الله تعالى (سُكّرت أبصارنا).

وفى العربية الفصحى كذالك "الحب بمعنى الوداد، وهو حب الشيئ"، وفيها كذلك "الحب : الجرّة التي يجعل فيها الماء". والمعنى الأول عربي أصيل، أما الثاني فهو فيها مستعار من الفارسية، لكلمة مماثلة تماما للفظ العربي.

وفى العربية كذلك "السور : حائط المدينة، والسور : الضيافة". والمعنى الأول عربي، أما الثاني فهو لكلمة فارسية، شرفها النبي صلى الله عليه وسلم كما قال صاحب القاموس حين نطق بها، في قوله عليه الصلاة والسلام : "يا أهل الخندق، قوموا فقد صنع جابر سورا. قال أبو العباس ثعلب : إنما يراد من هذا، أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بالفارسية. صنع سورا، أي طعاما دعا إليه الناس.

4- التطور اللغوي

فقد تكون هناك كلمتان، كانتا فى الأصل مختلفتي الصورة والمعنى. ثم حدث تطور في بعض أصوات إحداها، فاتفقت لذلك مع الأخرى في أصواتها. وهكذ1 أصبحت الصورة التي اتحدت أخيرا مختلفة المعنى، أي صارت لفظة واحدة مشتركة بين معنيين أو أكثر.

مثال ذلك ما روى لنان من أن "مَرَدَ : أقدم وعتا، ومَرَد الخبز : لينه بالماء". وأصل الكلمة بالمعنى الثاني هو "مَرَثَ". ففي المعاجم "مرث الشيئ في الماء : أنقعه

فيه حتى صار مثل الحساء". فقد أبدل صوت الثاء هنا تاء، فصارت الكلمة "مَرَثَ"، وهذه رويت لنا كذلك، ثم جهرت التاء لمجاورتها للراء، فصارت "مَرَدَ". وبذلك ماثلت كلمة "مرد" بمعنى أقدم وعتا.

ومثال ذلك أيضا ما فى المعاجم، من قولها "الفَرْوَة : جلدة الرأس والغنى". وأصل الكلمة بالمعنى الثاني، هو الثروة، أبدلت الثاء فاء على طريقة العربية في مثل "جدَثَ" و "جدَفَ" و "حثَالة" و "حفالة" وما أشبه ذلك.

ويحدثنا "أولمان" عن أثر التطور اللغوي في نشوء بعض المشترك اللفظي فى الإنجليزية، فيقول : "والمشترك اللفظي ينشأ من اتفاق كلمتين مستقلتين أو أكثر في الصيغة اتفاقا بطريق الصدفة. وعلى هذا ليس هناك أقل من أربع كلمات تمثلها الصيغة : sound في اللغة الإنجليزية، فهذه الكلمات الأربع بعد أن اشتقت من أصول مختلفة، أخذت تتقارب بعضها من بعض في الصيغة حتى اتحدت وتماثلت. فالكلمة sound بمعنى healthy (صحيح البدن)، كلمة جرمانية قديمة. وهناك ما يقابلها بالفعل في تلك اللغة، وهي الكلمة Gesund التي لا تزال تؤدي المعنى تفسه. أما sound بمعنى صوت فإنها ترجع إلى الكلمة الفرنسية "son" ، وما العنصر "d" إلا تطور متأخر الحدوث. و sound بمعنى "سَبَرَ الغَورَ امتداد للفعل الفرنسي sonder . وربما تكون هناك علاقة تاريخية بين هذه الكلمات الفرنسية. والكلمة sound الرابعة التي تعني "مضيق الماء" والتي توجد في لغات جرمانية متعددة.[25]

25